

تفسير البحر المحيط

@ 215 @ القلب ، وذهب بعض السلف إلى أن قوله { وَأَخْفَى } هو فعل ماض لا أفعل تفضيل أي { يَعْْلَمُ } أسرار العباد { وَأَخْفَى } عنهم ما يعلمه هو كقوله { يَعْْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ { وقوله } وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا { قال ابن عطية : وهو ضعيف . .

وقال الزمخشري : وليس بذلك قال : فإن قلت : كيف طابق الجزاء الشرط ؟ قلت : معناه إن تجهر بذكر □ من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فيما أن يكون نهياً عن الجهر كقوله { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخَرِفَةً وَادُّونَ الْجَهْرَ مِنْ الْفَوَلِ } وإما تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع □ وإنما هو لغرض آخر انتهى . .

والجلالة مبتدأ و { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } الخبر و { لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } خبر ثان ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من ذا الذي يعلم السر وأخفى ؟ فقيل : هو { اللَّاهُ } و { الْحُسْنَى } تأنيث الأحسن وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير ، وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة والأحسنية كونها تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن من التقديس والتعظيم والربوبية ، والأفعال التي لا يمكن صدورها إلا منه ، وذكروا أن هذه { الْأَسْمَاءُ } هي التي قال فيها رسول □ صلى □ عليه وسلم (: إن □ تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) . وذكرها الترمذي مسنده . .

{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ * نَارًا } فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنست نارا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِأَمْرٍ * إِنْ نَزَا * رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ * إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنزَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنزَلْتُ الْكِتَابَ * لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا * فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتَجُزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنَاسِرٌ * يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَذَّرُكَ * وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ بِأَمْرٍ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَأْرَبٌ * أُخْرَى * قَالَ أَلْقَاهَا بِأَمْرٍ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى

* لِنُذِرِكَ مِنَ آيَاتِنَا الْكُذِبَى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ {

• •

ولما ذكر تعالى تعظيم كتابه وتضمن تعظيم رسوله أتبعه بقصة موسى ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد ، كما قال تعالى { وَكَلَّا نَقُصُّكَ عِلَّاٰدِكَ مِنَ أَنْبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ } فقال تعالى : { وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } وهذا استفهام تقرير يحث على الإصغاء لما يلقي إليه وعلى التأسي . وقيل : { هَلْ } بمعنى قد أي قد { أَتَاكَ } ، والظاهر خلاف هذا لأن السورة مكية . والظاهر أنه لم يكن أطلعه على قصة موسى قبل هذا . وقيل : إنه استفهام معناه النفي أي ما أخبرناك قبل هذه السورة بقصة موسى ، ونحن الآن قاصون قصته لتتسلى وتتأسى وكان من حديثه أنه عليه السلام لما قضى أكمل الأجلين استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له ، وقد طالت مدة جنايته بمصر ورجا خفاء أمره ، فخرج بأهله وماله وكان في فصل الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام ، وامراته حامل فلا يدري أليلاً تضع أم نهاراً ، فسار في البرية لا يعرف طرقها ، فألجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد ، وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده فلم يور . قيل : كان رجلاً غيوراً يصحب الرفقة ليلاً ويفارقهم نهار لئلا ترى امرأته ، فأضل الطريق . .

قال وهب : ولد له ابن في الطريق ولما صلد زنده { رَأَىٰ نَارًا } . والظاهر أن { إِذْ } ظرف للحديث لأنه حدث . وأجاز الزمخشري أن تكون ظرفاً لمضمراً أي { نَارًا } كان كيت وكيت ، وأن تكون مفعولاً لأذكر { اَمْكُثُّوْا } أي أقيموا في مكانكم ، وخاطب امرأته وولديه والخادم . وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية { لَاهِلِهِ اَمْكُثُّوْا } بضم الهاء وكذا في القصص والجمهور بكسرها { إِنْ نَزَّيْنَا نَكْسُتُ } أي أحسست ، والنار على بعد لا تحس إلاّ بالبصر فلذلك فسره بعضهم برأيت ، والإيناس أعم من الرؤية لأنك تقول